الصين والانفجار السكاني

جاء في صحيفة الأهرام بتاريخ ٣/ ٨ / ١٩٨٢م تحت هذا العنوان ما يأتي: الصين أكبر دولة في العالم في عدد السكان ويزيد تعدادها في كل عام ١٧ مليونا من البشر وتعتبر مساحتها بالنسبة للعالم المساحة الثالثة بين دول العالم بعد روسيا وكندا، ولا تعتبر أغنى الدول في الأراضي الزراعية لأن ١٥% فقط من مساحة أراضيها هي المزروعة ولا يفهم من هذا العدد أنه سبب مشكلة الغذاء والمواصلات لكن الإنتاج الزراعي الوفير والمحاصيل الثلاثة في السنة الواحدة من الأرض نفسها سبب أساسي لزيادة الإنتاج الزراعي فالألف مليونا يأكلون من إنتاج أيديهم ولا يزداد استيراد القمح في الظروف الجوية الصعبة من جفاف في الشمال وفيضانات في الجنوب عن ٢٠% وهي في تناقص باستمرار.

الصين: أكبر منتج للحبوب الغذائية في العالم ووصل إنتاجها في عام ١٩٨٠م إلى ٣٠٧ مليون طن، ولا تتحدث الصين عن نقص الإمكانات ولكنها تعوض النقص وتطوع الإمكانات لتناسب الظروف الخاصة وهي تخطط وتنفذ.

وفي فلسفة الصين: كل شيء في الوجود نافع، ومنها كل أنواع النباتات، وكل ما على الجبال، وكل ما في باطن الأرض، وكل ما في جوف البحر.

النظافة مورد اقتصادي: تلك عقيدة وفلسفة للحياة وسبب لها ومصدر للاقتصاد ومورد للرزق، وقد قضوا على الناموس والبراغيث والفئران والسوس بالنظافة أولا وثانيا وثالثا والجميع يعملون لزيادة الإنتاج.

وقد زاد إنتاج القطن وجاوز الثلاث ملايين طن، وزادت محاصيل الزينة ٧% والسكرية ١٠%، وبشجاعة واضحة أغلقوا المصانع غير الاقتصادية والتي لم تحقق أهداف الإنتاج واتجهوا للصناعات الواقعية التي تخدم عمليات الإنتاج الأخرى من زراعية وصناعية بدلا من تكديس إنتاج لا يجد أسواقا، ولم يهتموا من إنتاج ما يُقال عنه من الإبرة إلى الصاروخ.

الفحم: وقد أنتجوا من الفحم ٦١٧ مليون طن في عام ١٩٨١م، وفي عام١٩٨٢ م زاد ٢٩ مليون طن، وزاد إنتاج البترول إلى ١٠١ بزيادة مليون طن عن العام السابق، وساعد على ذلك إعطاء مسئولية أكبر للمصانع والمزارع للتطوير والتغيير والمرونة مع المسئولية المعدة للإنتاج، وهو الهدف الذي يتم عليه الثواب والعقاب.

زاد الإنتاج فزاد الرخاء: وبعض المصانع تطبق مسئولية الإنتاج بالنسبة للعمال وللمسئولين في المصانع ويسمح لبعض المصانع باستبقاء نسبة من الربح للتطوير والحوافز، كما يسمح بإنتاج سلع غير واردة في خطة الدولة المركزية وبيع جزء منها داخل الصين، وقد نجحوا في منافسة كوريا الجنوبية وسنغافورة وهونج كونج وتايوان منافسة في الجودة وفي الأسعار.

المواصلات: في الصين مائة مليون دراجة للانتقال، وفي المدن الكبرى توجد مواقف للدراجات تقوم برعايتها سيدات مسنات وفق تذاكر تصرف لصاحب الدراجة مقابل مبلغ زهيد.

وهم دائما يركزون على جودة المنتجات ليتمكنوا من المنافسة في الأسواق العالمية وقد فاز نوعان من المنسوجات الحريرية في الصين بميداليتين ذهبيتين

في معرض دولي أقيم في فرانكفورت، كما فازوا في المنسوجات القطنية بتسع ميداليات فضية، كما أنهم صنعوا ديزل صغير رخيص ومتعدد الاستعمال، وفازوا في ذلك بميداليات ذهبية في معرض أقيم في اليابان.

وقد أعطوا علاوات للاستحمام والحلاقة لأنها تساعد على النشاط وعلى زيادة الإنتاج وتقوية الروح المعنوية للعمال، وحتى العاملات يشجعن على المظهر والشكل المناسب.

ومن عوامل تشجيع العاملين تعليق صورهم على أبواب المصانع والكتابة عنهم وتقسيم المزايا المادية لهم وشهادة التقدير الرسمية التي يحتفظون بها إلى جانب المعاملة الإنسانية التي أعادت الثقة بعد انتهاء الثورة الثقافية عام ١٩٦٦/١٩٧٦م، ومما يذكر أن مصنعا كان عدد عماله ٢٦٠ عاملاً أصبحوا بعد عدة سنوات ٢٢٢٧ ينتجون ألف نوع من أنواع الحرير وأوجدوا الفرصة ليشتري السائحون من الزوار منتجات المصنع، وهذا نوع من أنواع المصانع.

وقد أنشأوا صوامع للحبوب تحت الأرض حماية لها من الإنسان والحيوان والحشرات والعوامل الجوية، وهم لا يعرفون السرقة ولا الاختلاسات ولا غير ذلك، وقد بنيت الصوامع على بعد عشرين مترا تحت الأرض، وهي معزولة عن الحرارة ولا يصيب الحبوب التلف، ومما حدث أنهم في عام ١٩٧٥م استخرجوا من مخزون عام ١٩٦٥م، وكان المخزون يمثل ٩٧,٨% ومن الدهون ٣٣% ومن البروتين ٩٤%، وهذه الصوامع تبنى بالطوب ولا تزيد تكاليفها عن ٦٠% من تكاليف الصوامع فوق الأرض، وقد استفادوا أيضا من العلاج بالنباتات والأعشاب في الداخل، وصدروا كميات منها إلى الخارج، ويوجد في الصين ٥٠ ألف صيدلية تبيع الأعشاب والنباتات الطبية.

المجاعة كارثة من صنع الإنسان:

يلاحظ أن السوق الأوروبية المشتركة لديها فائض من المواد الغذائية يفوق العشرين مليون طن في كل عام يكلف تخزينها أربعة مليارات من الدولارات، والعالم اليوم غارق في فائض من الحبوب بقدر حوالي ٤٠٠ مليون طن، والولايات المتحدة تنفق ستة ملايين دولار لدعم تصدير ذرة لا يتجاوز ثمنها ثلث هذا المبلغ، ونسمع عن حقيقة بيع السوق الأوروبية للزبد بعشر تكلفته إلى الاتحاد السوفيتي، ونقرأ أن تايلاند تشكو من منافسة الولايات المتحدة غير الشريفة لها في أسواق تصدير الأرز العالمية يحدث هذا في وقت وجدت فيه المجاعة في إثيوبيا وفي غيرها، والمعونات الأمريكية لم تعكس أساسا نوايا إنسانية بقدر ما كانت أداة لخدمة السياسات الخارجية والمصالح الاقتصادية للولايات المتحدة في الدول التي تتلقى المعونة.

المعونة: وفي دراسة للبنك الدولي لطرق توزيع المعونة بنظام البطاقات في بنجلاديش، تبين أن أكثر من ربعها يذهب لرجال الشرطة والجيش وموظفي الحكومة وأن الثلث تستأثر به الطبقة الوسطى في ست مدن رئيسية وأن الربع الباقي يذهب إلى المطاحن التي تزود المدن باحتياجاتها، وهذه الصور وأحيانا تكون أكثر بشاعة في كل دولة تتلقى المعونة الغذائية، وهناك آثار سلبية خطيرة على الدول النامية من جراء المعونات الغذائية مثل استخدام الألبان المجففة كغذاء للكبار وما يسببه لهم من أمراض واضطرابات في الجهاز الهضمي ثم الاعتماد على المستورد وترك الذرة والشعير والتوقف عن صناعة الخبز وقد اتضح أن الدولة المتلقية للمعونة أسيرة لمقدمي المعونة كما يصبح المدمن أسير من يزوده بالمخدرات.

برنامج ألماني:

جاء في مجلة الوعي الإسلامي عدد جمادى الآخرة سنة ١٤٠٥هـ في مقال للأستاذ محمد العباسي ما يأتي "أعلنت الحكومة الألمانية عن عزمها لإعداد برنامج تبلغ تكلفته ثلاثة مليارات دولار في العام الواحد وذلك لتشجيع الزيادة في المواليد، كما أعلنت عن قيامها بتخصيص ٢٠ مليار دولار لإنشاء هيئة خاصة تعرف باسم "هيئة الطفل والأم" بهدف إبعاد الأمهات غير المتزوجات عن عادات الإجهاض، كما قررت الحكومة تقديم بعض الحوافز المادية للأمهات بهدف تشجيعهن عن الإنجاب ويتمثل ذلك في فتح إعانة خاصة للأم تقدم بحوالي مائتي دولار بصفة شهرية ولمدة عام كامل منذ الولادة".

وإلى جانب ذلك، فإن اللجنة التنفيذية للحزب الشيوعي الروماني وافقت على قانون جديد لزيادة نمو السكان وذلك باتخاذ التدابير اللازمة لضمان الزيادة في عدد السكان بتكليف موظفين حكوميين بمراقبة النساء الحوامل لضمان عدم لجوئهن إلى الإجهاض وتغريمهن غرامات مالية كبيرة إذا لجأن إلى ذلك، كما تضمن القانون أن يدفع الزوجان اللذان لم ينجبا طفلا بعد مرور عام من الزواج ضريبة مرتفعة، كما تفرض ضريبة على الأعزب الذي يزيد عمره على خمسة وعشرين سنة تشمل ضريبة عدم الإنجاب وتبلغ ٧% من مرتبه.

وإلى جانب ذلك أيضا فإن أوستيفوني وزير الدفاع السوفيتي الأسبق صرح بأنه يشعر بالقلق إزاء النقص المحتمل مستقبلا في عدد أفراد الجيش نظرا لبطء معدل الإنجاب مما سيكون له تأثير ضار في المستقبل، ودعا النساء إلى سرعة الإنجاب باعتباره واجبا قوميا، كما تقرر منح الأمهات الولودات في الاتحاد السوفيتي أوسمة ونياشين مع العلم بأن عدد سكان الاتحاد السوفيتي كبير جدا.

وقد حذر خبراء الزراعة الغربيون والأمريكيون من أن هذه الدول قد تواجه أزمات تجارية جديدة بسبب حجم المحاصيل الزراعية التي من المنتظر أن تحققها الصين في العام الحالي، وأكدوا أن حجم هذه المنتجات سوف تحقق اكتفاء ذاتيا للصين يغنيها عن العالم الخارجي مما قد يدفعها إلى عدم تجديد اتفاقيات استيراد المحاصيل الزراعية وبخاصة الحبوب من أوروبا وأمريكا.

وقد نشرت مجلة "لافست" البريطانية المتخصصة في الدراسات الطبية تقريرا عن نتائج الدراسات التي قامت بها الهيئات الطبية العالمية عن حبوب منع الحمل أكدت المجلة أن تناول حبوب منع الحمل لمدة ٥٢ شهرا كفيلة بإصابة المرأة بالأمراض السرطانية، وأعلنت جامعة كاليفورنيا بعد عدة أبحاث دقيقة على عدد من السيدات الأمريكيات اللواتي يستعملن حبوب منع الحمل أن هذه الحبوب تؤدي إلى أورام سرطانية في الثدي والرحم وتؤدي إلى أمراض القلب وتضاعف التجلط الدموي السريع.

ويقول الدكتور شكري عرفة الأستاذ بكلية الطب جامعة القاهرة: إن هناك – بالإضافة إلى ما جاء في المجلة البريطانية وتقرير كاليفورنيا – آثارا جانبية كثيرة جدا منها على سبيل المثال "القيء والغثيان والصداع النفسي وزيادة المادة الضارة في الدم وتغير وظائف الكبد بالإضافة إلى اضطرابات الهرمونات"، ولذلك فقد اشترط قانون المهن الطبية في إنجلترا أن يكتب الآثار الجانبية بشكل واضح على علبة حبوب منع الحمل حتى تكون المستخدمة لها على بينة من أمرها.

وفي الولايات المتحدة الأمريكية تقوم هيئة الدواء والأغذية الأمريكية بمراقبة وسائل منع الحمل وتشترط شروطا معينة لاستخدامها كما يحدث في البلاد الغربية، ففي الوقت الذي يقيدون فيه استخدام نسائهم للحبوب يصدرون

لنا آلاف الأطنان منها كما أنها تصرف مجانا في مراكز تنظيم الأسرة، وتصرف بثمن بخس في الصيدليات بدون رخصة طيبة أو تحذير النساء من استخدام هذه الحبوب.